

تكریم الله للإنسان الأكاديمية العربية الدولية لبنان

1444هـ / 2022م.

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وزيّنه بالعقل والعلم، وميّزه على الحيوان البهيم،
(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (التحل 78)،
وكرّمه بأنواع التكريم، وحمله في البرّ والبحر والجوّ ورزقه من الطيّبات وعلمه ما لم يعلم وفضّله
على كثيرٍ ممّن خلق تفضيلاً (الرّحمن عَمَّ الْقُرْآنُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (الرّحمن 4/1)، (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق 5/1)، وأشهد أن لا
إله إلا الله، الواحد الأحد الفرد الصّمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن
محمّداً عبد الله ورسوله، أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، وأخرج به النّاس من ظلمات الكفر
والشّرك والجهل إلى نور التوحيد والإيمان والعلم والمعرفة (كَأَ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا
وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) (البقرة 151) اللهم صلّ أما بعد : فلقد
اهتمّ الإسلام بالإنسان منذ خلقه وأوجده على ظهر الأرض، ومنذ نشأته الأولى واعترف بكيانه
كلّه جسمًا ونفسًا وعقلًا وقلبًا ووجدانًا وإرادة، لهذا أمره بالسّعي في الأرض والمشي في مناكبها
والأكل من طيّباتها والاستمتاع بزيّنة الله التي أخرج لعباده وحثّه على النّظافة والتجمل والاعتدال
(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء
70).

لقد كرّم الله الإنسان باعتباره من البشر فهو مكرّمٌ وداحلٌ في هذا التكريم ذكرًا كان أو أنثى مؤمنًا
أو كافرًا، طائعًا أو عاصيًا، أبيض أو أسود، عربيًا أو أعجميًا، كبيرًا أو صغيرًا، غنيًا أو فقيرًا،

ملكاً أو مملوكاً، عظيماً أو حقيراً، فهو مخلوق متميّز، مكرم ميّزه وكرّمه وفضّله وأسجد له الملائكة وهم من نُخبة الموجودات، وفي هذا تأكيد صريحٌ لخضوع كافّة الموجودات للإنسان وإطاعتها له.

ومن أبرز تكريم الله للإنسان أن أنعم عليه بهذا الدين، فالإيمان يُضفي على صاحبه قوّة تنطبع على سلوكه كلّ، فإذا تكلمّ كان واثقاً من قوله، وإذا اشتغل كان راسخاً في عمله، وإذا اتجه كان واضحاً في هدفه، لأنّ الإيمان هو أقوى الأساليب وأمضاها في مواجهة جميع المشكلات في هذه الحياة.

من أجل ذلك المسلم يرى أنّ الحياة مئة ومنحة من الله عزّ وجلّ فهو يُحبّ الحياة لحبّ الله، يحبّ الحياة لأنّه لا يجد حجاباً بينه وبين ربّه، لا ينسى نصيبه من الدّنيا فيتمتّع وبطيّباتها وبحلالها كما أمره الله، فقد أباح الله له أن يأكل ما يشاء ويشرب ما يشاء، ويلبس ما يشاء ولكنّه حدّد ذلك بأوامره ونواهيه، فلا يحلّ له أن يأكل ما حرّم الله، أو يشرب ما حرّم الله، أو يلبس ما حرّم الله، فعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنه قال: **"كُلْ مَا شِئْتَ وَالْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ خَلْقَانِ: سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ"** رواه البُخاريُّ ومسلمٌ .

خلق الله عزّ وجلّ الإنسان لأمرٍ عظيم ليكون مستخلفاً في الأرض، مالِكاً لما فيها، فاعلاً مؤثراً فيها، إنّهُ الكائن الأعلى في هذا الملك العريض، والسّيد الأوّل في هذا الميراث الواسع، ودوره في الأرض وفي أحداثها وتطوّراتها هو الدّور الأوّل، إنّهُ سيّد الأرض و سيّد الآلة! إنّهُ ليس عبداً للآلة كما هو في العالم الماديّ اليوم. **(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة 30).**

وليس تابعاً للتطوّرات التي تحدثها الآلة في علاقات البشر وأوضاعهم كما يدّعي أنصار المادية المطموسون، الذين يحقرون دور الإنسان ووضعه، فيجعلونه تابعاً للآلة الصمّاء وهو السيّد الكريم! وكل قيمة من القيم المادية لا يجوز أن تطغى على قيمة الإنسان، ولا أن تستذلّه أو تُخضعه أو تستعلي عليه، وكلّ هدفٍ ينطوي على تصغير قيمة الإنسان، مهما يحقّق من مزايا مادية، هو هدف مخالف لغاية الوجود الإنساني، فكرامة الإنسان أولاً، واستعلاء الإنسان أولاً، ثمّ تجيء

القيم المادية تابعة مُسَخَّرَة، وإذن فهي منزلة عظيمة، منزلة هذا الإنسان، في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة وهو التكريم الذي شاء له خالقه الكريم .

فحق الإنسان في الحياة كلّها بعصافيرها الشادية في الصّباح الباكر، وشذى أزهارها المتفتّحة، ومروجها الخضراء في السّاحات الواسعة، والبساتين اليانعة، هي منحة الخالق العظيم للبشر، فبالتالي تعتبر مقدّسة ولا يجوز الاعتداء عليها أو المساس بها، ولم يقبل الله بموقف تفقد فيه الحياة إلّا من أجل الحياة كموقفه من الشّهداء حيث يقول: **(وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُمُوتَ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)** (البقرة 154)، ومنه موقفه من القصاص **(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** (البقرة 179)، ومنه أيضًا موقفه من الجهاد الذي لم يُشرع إلّا من أجل الدّفاع عن الحياة، قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)** (الأفّال 24)، بل لقد وفرّ الإسلام للإنسان جميع مستلزمات حياته وحمايتها من الخلق وحتّى وفاته وحرّم أي تهديد للحياة .

فحقّه في الحياة هو أخطر الحقوق وأجلّها وأقدسّها في جميع الشّرائع والحضارات والأعراف والقوانين والدّساتير.

الإسلام كفل للبشر حقّ الحياة، وحقّ الكرامة الإنسانية، وحقّ التفكير، وحقّ التدبّر، وحقّ الاعتقاد، وحقّ التعبير، وحقّ التعلّم، وحقّ التملّك، وحقّ الكفاية، وحقّ الأمن من الخوف، حفظ الإسلام حقّ الحياة وحماه بالتربية والتوجيه بالتشريع والقضاء وبكلّ المؤيدات النّفسية والفكرية، والاجتماعية، وعدّ الحياة هبة من الله تعالى لا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يسلبها منه.

المسلم يعرف قيمة الحياة ويعرف منّة ربه عليه ولا يتجاوز شأنها، ولا يضعها في قمّة اهتمامه لتصرفه عن ربّه وهدى نبيّه ﷺ فلا يتعلّق قلبه بالدنيا ولا تلهيه عن الآخرة، قال الله تعالى: **(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)** (القصص 77) قال السعدي رحمه الله: **(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ)** أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند الله، وتصدّق ولا تقتصر على مجرد نيل الشّهوات، وتحصيل اللذات، **(وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)** أي: لا نأمرك أن تتصدّق بجميع مالك وتبقى ضائعًا، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعًا لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك، **(وَأَحْسِنْ)** إلى عباد الله **(كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)** بهذه الأموال، **(وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ بِالْكِبَرِ وَالْعَمَلِ بِمَعَاصِي اللَّهِ**

والاشتغال بالنعم عن المنعم، (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) بل يعاقبهم على ذلك أشد العقوبة. فالمؤمن الحقيقي هو الذي يستعين بالنعم على طاعة الله ويستعملها فيما يرضي الله، فالشكر كما قال الفضلاء قيدٌ للنعم الموجودة، وصيدٌ للنعم المفقودة، وَقَدْ رُوِيَ فِي الْأَثَرِ: أَنَّ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَشُكْرِي لَكَ نِعْمَةٌ مِنْكَ عَلَيَّ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: الْآنَ شَكَرْتَنِي يَا دَاوُدُ، أَيُّ: حِينَ اعْتَرَفْتَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ آدَاءِ شُكْرِ النِّعَمِ. فالشكر قيدٌ للنعم الموجودة، وصيدٌ للنعم المفقودة.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُؤَدِّي شُكْرُ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ، إِلَّا بِنِعْمَةٍ تُوجِبُ عَلَى مُؤَدِّي مَاضِي نِعَمِهِ بِآدَائِهَا، نِعْمَةٌ حَادِثَةٌ تُوجِبُ عَلَيْهِ شُكْرَهُ بِهَا.

ولكنَّ المسلم مطالب بالأداء لتلبيه الدنيا وما فيها عن مصيره الأبقى في الآخرة، (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (القصص 60)، فلا يتعلّق قلبه بالدنيا ولا تلبيه عن الآخرة، فينتقرب إلى الله تعالى بأنواع الطاعات والقربات، من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وصدقةٍ، وحجٍّ وعمرةٍ، وذكرٍ ودعاءٍ وإنابةٍ وتوكلٍ وخوفٍ ورجاءٍ، وبرٍّ وإحسانٍ وغير ذلك من أنواعٍ وأصنافٍ العبادات، وفاءً بحقِّ نفسه وامتنثالاً لأمر الله بالنظر في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله من شيءٍ، وفي مصير الأمم وسنن الله في المجتمعات، كما أمره بطلب العلم، والتماس الحكمة من أيٍّ وعاءٍ خرجت منه، وأنكر عليه الجمود والتقليد، للآباء والكبراء، كل ذلك وفاءً بحق العقل.

ولفته إلى جمال الكون بأرضه وسماؤه ونباته وحيوانه، وما زانه الله به من مظاهر الحسن والبهجة ليشبع حاسة الجمال في نفسه، ويشعر في أعماقه، بعظمة ربّه الذي أحسنَ كلّ شيء خلقه، كما أنّه أباحَ له التمتع بألوان من اللّهُو وترويح النفس، دفعاً للسّامة عنها، فإنّها تملُّ كما تملُّ الأبدان، وتتعب كما تتعب، وفي هذا رعاية لجانب الوجدان والعاطفة.

المسلم يجعل كلّ تصرّفه لله، ويقوم لله، ويقعد لله، وقلبه في حالة دائمة بالله، فهو يفعل لله، ويترك لله، ويحب في الله، ويبغض في الله، ويعطي لله، ويمنع لله شعاره: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) (القصص 77).

وإذا كان الله عز وجل قد أكرم الإنسان وأعلى قدره، وسخر له كل شيء فما هو دور الإنسان تجاه ربه وخالقه؟ يجب أن يكون دوره دور الشاكر العابد الخاضع لسلطان ربه والمتبع لهدي رسوله وشفيعه ﷺ فالله سخر كل شيء من أجلك أيها الإنسان حتى تكون مسخرًا لربك، فقد كفاك الله كل شيء حتى تتفرغ لعبادته العباداة بمفهومها الشامل، قال شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله: (العبادة والعبودية لله اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من العقائد، وأعمال القلوب، وأعمال الجوارح فكل ما يقرب إلى الله من الأفعال، والتروك فهو عبادة، ولهذا كان تارك المعصية لله متعبدًا متقربًا إلى ربه بذلك)، قال تعالى: **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الناريات 56).**

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (العبادة روحها وحقيقتها تحقيق الحب والخضوع لله، فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عبادة، فإن حقيقتها الذل والانكسار لله، ولا يكون ذلك إلا مع محبته المحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها).

فكل ما عليك أيها العبد هو أن تجمع تركيزك واهتمامك وإبداعك وحدك وتؤدي صلاة خاشعة بقلب مليئ بالإيمان وتلاوة بتدبر وذكرًا بتأمل، وحسنًا في خلق، وذلك يحتاج إلى قوة إرادة، وقوة شخصية، ومثابرة لتطهر نفسك، وتسمو وتوزع طاقاتك بين الأرض والسماء، وبين الدنيا والآخرة، وبين الحاضر والآتي، وبين الذات والدعوة، وتعهد بالفرائض التي تروضك على الحياة النظيفة، والخلق الكريم، على أساس الحق والبر والمواساة والحب.

ولا تكن ممن ابتعد عن حقيقة روح الدين فتشتت شمله وسعيه، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ" رواه أحد والترمذي وابن ماجه (صحيح الجامع 6510) فمن الناس من يسعى لجمع المال للشهوات والشبهات والمنكرات، معاملات فيها مخالفات شرعية كالربا، والغش، وأكل أموال الناس بالباطل وغيرها لا يهتم من أي القنوات جمعه وحصله روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الْحَلَالَ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ".**

ومنهم من يلهث في بهيمية خلف الشهوات وما يثبت من السموم في القنوات، ومنهم من يهرول وراء الجاه والشهرة والسلطان، ومن يسبح في غير ماء، ويطير بغير جناح يبذل أعماراً نفيسة في طلب أغراض خسيسة، فالحياة نعمة وليست نقمة، وطول العمر فرصة للتزود من الخير، والذين يطلبون الراحة من الدنيا لم يدركوا حقيقة الحياة، فلن تنال مراتب الآخرة إلا بالعمل الصالح في الدنيا:

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقَعْتُهَا ... وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْآجَلِ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا ... فَإِنَّمَا الرِّبْحُ وَالْخُسْرَانُ فِي الْعَمَلِ
مَتَاعُ غُرُورٍ لَا يَدُومُ سُرُورُهَا ... وَأَضْغَاثُ حُلُمٍ خَادِعٍ بِهِبَائِهِ
فَمَنْ أَكْرَمَتْ يَوْمًا أَهَانَتْ لَهُ غَدًا ... وَمَنْ أَضْحَكَتْ قَدْ آذَنْتْ بِبُكَائِهِ
وَمَنْ تُسْقِهِ كَأْسًا مِنَ الشَّهْدِ غُدُوَّةً ... تُجَرِّعُهُ كَأْسَ الرَّدَى فِي مَسَائِهِ
وَمَنْ تَكْسُ تَاجَ الْمُلْكِ تَنْزَعُهُ عَاجِلًا ... بِأَيْدِي الْمَنَايَا أَوْ بِأَيْدِ عِدَائِهِ
أَلَا إِنَّهَا لِلْمَرْءِ مِنْ أَكْبَرِ الْعِدَا ... وَيَحْسَبُهَا الْمَغْرُورُ مِنْ أَصْدِقَائِهِ
فَلَذَائِهَا مَسْمُومَةٌ وَوَعُودُهَا ... سَرَابٌ فَمَا الظَّالِمِي رَوَى مِنْ عَنَائِهِ
وَكَمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ دُمِّهَا ... وَكَمْ دُمُّهَا الْأَخْيَارُ مِنْ أَصْفِيَائِهِ
فَدُونُكَ آيَاتِ الْكِتَابِ تَجِدُ بِهَا ... مِنَ الْعِلْمِ مَا يَجْلُو الصَّدَا بِجَلَائِهِ